

سؤال الهوية وصراع الآخر في الرواية الجزائرية المعاصرة _فضل الليل على النهار لياسمينه خضرا أنموذجا_

**The Identity and the Struggle of the Other Issue in the
Contemporary Algerian Novel
The Case of Yasmina Khadra's The Superiority of Night over Day**
د. مفيدة ميزان*

جامعة عباس لغرور خنشلة/ الجزائر، maria2016mmaria@gmail.com

تاريخ الإرسال	2022/07/31 م	تاريخ القبول	2022/08/16 م
---------------	--------------	--------------	--------------

ملخص

يمثل سؤال الهوية وصراع الآخر من أبرز القضايا التي تناولتها مختلف الخطابات الأدبية الجزائرية؛ ولعل الخطاب الروائي الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية عني بسؤال الهوية وصراعه مع الآخر؛ حيث تبنت الكتابة الروائية الجزائرية مقومات الهوية الوطنية كما حمل الكاتب الجزائري على عاتقه التعبير عن قضايا وهموم شعبه الجزائري الذي عانى من التهميش إبان الاستعمار الفرنسي، هذا الأخير الذي خلخل ثوابت المجتمع الجزائري وقيمه لينتج عنه حالة من التمزق والتشظي في الهوية في أتون الصراع مع الآخر المعادي، وعليه تهدف ورقتنا الكشف عن صورة مأزق الهوية المسلوقة والصراع مع الآخر الفرنسي من خلال قراءة وصفية تحليلية وكذا نقدية لإحدى الروايات الجزائرية التي تطرق لها الموضوع ألا وهي: رواية فضل الليل على النهار للكاتب الجزائري ياسمينه خضرا.

الكلمات المفتاحية: مأزق الهوية؛ صراع الآخر؛ الرواية الجزائرية؛ الاستعمار؛ المجتمع الجزائري.

Abstract

The identity and the struggle of the other is one of the most prominent issues addressed by various Algerian literary discourses. Perhaps the Algerian novelist discourse written in French is one of these discourses dealt with the issue of identity and the struggle with the other. The Algerian novelist writings adopted national identity components. Moreover, the Algerian writer wholeheartedly dedicated his writings to express the issues and concerns of his people suffering from marginalization during the period of French colonialism. This latter disrupted the constants and values of Algerian society, which led to a state of identity rupture and fragmentation in the midst of the conflict with the hostile other. Accordingly, the research aims to reveal this image through a descriptive, analytical and critical reading of the Algerian novel that depicted the predicament of stolen identity written by Yasmina Khadra.

Keywords: identity predicament; struggle of the other; Algerian novel; colonization; Algerian society

1. مقدمة

تُمثّل إشكالية الهوية من القضايا الشائكة التي تناولها الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية، حيث اتخذ الكاتب الجزائري اللغة الفرنسية للتعبير عن آمال وطموحات الشعب الجزائري، خاصة في مجال الرواية الفرنكفونية التي تعد الجنس الأدبي المتفرد والظاهرة الثقافية التي طرحت عدة إشكالات حول سؤال الهوية والانتماء، وهو ما خلق عدة نقاشات بين النقاد والباحثين حول ما إذا كان تصنيفها ضمن الأدب الفرنسي أو الأدب الجزائري، وسأسعى في هذه الورقة إلى البحث في غمار الرواية الفرنكفونية الجزائرية، وللإجابة عن هذه التساؤلات سأعتمد الخطة التالية:

أولاً_ الرواية الجزائرية الفرنكفونية وسؤال الهوية

ثانياً_ التعريف بالكاتب ياسمينه خضرا

ثالثاً_ ملخص رواية فضل الليل على النهار

رابعاً_ تمظهرات الهوية في رواية فضل الليل على النهار

خامساً- مآزق الهوية بين الأنا والآخر في الرواية

اعتمدت الورقة البحثية على المنهج الوصفي التحليلي بالإضافة إلى مقارنة النقد الثقافي، من هنا يمكن القول "إن النقد الثقافي يمكن تطبيقه في جميع المجالات الأدبية والفنية ومن ثم يدرس النقد الثقافي ...، وعلاقة الأنا بالغير والهويات المهمشة والمواضيع المرفوضة والممنوعة في الأوساط الأكاديمية" (حمداوي، 1996، صفحة 102)، والرواية المختارة هي رواية فضل الليل على النهار للكاتب ياسمينه خضرا الذي يحاكي الهوية المسلوبة والممزقة بين أنون الصراع

الهمجي الذي شنه الاستعمار الفرنسي، لينتج عنه صراع الهوية أي بين هوية أصلية صنعت الذات، وأخرى دخيلة، وهو ما يطلق عليه بتعددية الهوية في الذات الواحدة. ومن هذا المنطلق تداعت عدة تساؤلات نذكر منها:

_ كيف تمظهرت الهوية في رواية فضل الليل على النهار للكاتب ياسمينه خضرا؟

_ ما هي أهم القضايا التي عالجها الروائي ياسمينه خضرا في روايته؟

_ كيف صور ياسمينه خضرا صورة الآخر مع الذات الجزائرية؟

_ ما هي أهم الأنساق الثقافية التي تجسدت في رواية فضل الليل على النهار لياسمينه خضرا؟

2. الرواية الجزائرية الفرنكفونية وسؤال الهوية:

إن الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية هي وليدة عوامل متنوعة فكرية، ثقافية، شخصية، اجتماعية وسياسية، خاصة في ظل ظروف مرحلة الاستعمار الفرنسي الذي كان سببا في ولادة الرواية الجزائرية الفرنكفونية أين اعتمد المستعمر سياسة التجنيس وطمس الهوية الجزائرية، ومنع تعلم اللغة العربية مقابل تكريس تعلم اللغة الفرنسية، وهو الأمر الذي جعل الأدب الجزائري تتشعب "اتجاهاته الفكرية والإيديولوجية وأدواته التعبيرية، حيث استغلت اللغة الفرنسية إلى جانب اللغة العربية كسلاح وجهه الكتاب المناضلون إلى صدر المستعمر " (الأعرج، 1986، صفحة 681)؛ أي إنه فرض على المثقف الجزائري واقعا ثقافيا جديدا خاضعا للسياسة الاستعمارية، التي ساهمت في اتصال الثقافة الفرنسية بالثقافة الجزائرية، كون "أدباء الجزائر استخدموا الفرنسية كسلاح لمواجهة الاستعمار " (شرف، 1991، صفحة 157)؛ ما جعل الكاتب

الجزائري يتخذ اللغة الفرنسية وسيلة للتعبير عن الواقع المأساوي الذي يعيشه المجتمع الجزائري من قبل همجية الاستعمار، ويمكن القول أن المكونات الجوهرية التي تنتمي إلى حقل الهوية هي الأكثر ثباتا مثل: "الإقليم الجغرافي الواحد- أرض الوطن- و الأصل القومي الواحد، واللغة التي تعد تعبيرا عن لسان الأمة إلا أن اللغة يمكن أن تكون ثابتة أو متغيرة" (كوبر، 2012، صفحة 19)؛ وحتى يصل صوت القضية الجزائرية إلى كافة أنحاء العالم، اعتمد الكاتب الجزائري على اللغة الفرنسية وهو ما جاء على لسان الكاتب الجزائري كاتب ياسين قائلا: "إن الفرنسية ليست سوى أداة لتوصيل أفكارنا إلى المثقفين في العالم لنجذب به المفكرين الأحرار لنصرة قضية جزائرنّا العربية" (كوبر، 2012، صفحة 157)؛ فاللغة الفرنسية لا تنقص من قيمة هذا الأدب الذي يحمل في طياته هوية الفرد الجزائري وهو ما جاء على لسان مولود معمري قائلا: "يجب أن لا نبكي ونشعر بالضيق لأننا نكتب باللغة الفرنسية، فأنا شخصا إذا كتبت باللغة الفرنسية فإنني لا أشعر بأية عقدة نقص فالكاتب مهما كانت اللغة التي يكتب بها إنما يقوم بعملية ترجمة لعواطفه وأفكاره...، إنني أقول: إن هذه فرصة، بل إنها ثروة للثقافة الجزائرية" (محمد خضر، 1967، صفحة 90)؛ أي إن الأديب الجزائري يحمل على عاتقه تصحيح نظرة الآخر تجاه الذات الجزائرية وإجباره على تغيير نظرته الدونية تجاه الهوية الجزائرية. ذلك أن الرواية الجزائرية الفرنكفونية "لا تمثل التصورات بالفرنسية أو المفاهيم الجزائرية فهي أشبه بكائن مميز يجمع بين الشكل الفرنسي والمضمون الجزائري إذ لا يمكن أن ننفي عن هذا الأدب جزائريته، بالنظر إلى التصاقه بالواقع الجزائري بالثورة" (الأعرج، 1986، صفحة 68).

أشار إلى ذلك الناقد عبد "المجيد حنون" الذي يشبه هذا الكائن بالمولود الاستثنائي يولد ويكبر ويساهم في الحياة، لكنه لا يملك شبيها ولا يمكن التخلي عنه" (جبور، 2013، صفحة 46)؛ ما يعني أن كتاب الرواية الجزائرية اتخذوا من

اللغة الفرنسية وعاءا لبث رؤاهم التي تعبر عن تضحيات الشعب الجزائري والدفاع عن حريته المنتزعة، وإمالة اللثام عن بشاعة ووحشية المحتل الفرنسي الغاشم.

ومن هذا المنطلق سعت الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية إلى الخروج من صورتها النمطية المعهودة، لتتخذ منعطفًا آخر هو تصوير هموم الشعب الجزائري والظلم الذي يعايشه الأهالي من طرف الإدارة الفرنسية وقوانينها وشرائعها بواسطة سلاح القلم، وفي هذا السياق يقول مولود معمري: "إنني على ثقة أكيدة بأن المناضل هو الذي يطلق النار على الآخرين، وفي الإمكان أن نطلق العيارات النارية بواسطة القلم، هذا حال الكاتب" (بامية، 1982، صفحة 137)؛ الجزائري الذي يملك وعيا بانتمائه الجزائري، ومن أهم الروائيين الناطقين باللغة الفرنسية الذين حملوا على عاتقهم المسألة الوطنية نجد "مولود معمري" و"آسيا جبار" "محمد ديب" و"ياسمينه خضراء" وغيرهم.

لقد تمكن الأدباء الجزائريون الذين عبروا بلغة المستعمر، أن يبحثوا داخل لغة عدوهم عن لغتهم و كلامهم الذاتي وتحميلها بخصوصية الانتماء وأخلاق الشعب الجزائري حتى يكشفوا للعالم فضاغة المستعمر الفرنسي.

3. تعريف الكاتب ياسمينه خضراء:

ياسمينه خضراء (Yasmina Khadra) وهو الاسم المستعار للكاتب الجزائري محمد مولسهول، ولد بتاريخ 10 يناير كانون الأول 1955 بالقنادسة في ولاية بشار الجزائرية كان والده ممرضا ووالدته بدوية وفي عمر التاسعة التحق ياسمينه خضراء بمدرسة عسكرية وتخرج منها برتبة ملازم سنة 1978، والتحق

بالقوات المسلحة، خلال فترة عمله في الجيش قام بإصدار روايات موقعة باسمه الحقيقي عام 2000 أي باسم محمد مولسهول، وبعد 36 عاما من الخدمة يقرر هذا الكاتب اعتزال الحياة العسكرية والتفرغ للكتابة، واستقر مع أسرته في فرنسا وفي العام الثاني نشر رواية "الكاتب" التي أفصح فيها عن هويته الحقيقية ويليها "رجال الكلمات" كتاب يبرز فيه مسيرته المهنية وتبلغ شهرته حد العالمية، للكاتب عدة أعمال أدبية كثيرة منها ما نشرها باسمه الحقيقي ومنها ما نشرها باسمه المستعار ياسمينه خضرا مثل: أمين، حورية، بنت الجسر، ماذا تنتظر القردة، أشباح الجحيم، آلهة الشدائد، الكاتب، وغيرها من الأعمال الأدبية.

4. ملخص الرواية:

تصنف روايات ياسمينه خضرا ضمن ما يسمى بروايات الأزمة هذه التسمية "وردت في فرنسا، أين كان الاهتمام برواية المحنة الجزائرية المكتوبة بالفرنسية خاصة سلسلة روايات ياسمينه خضرا" (ديك، 2013، صفحة 111)؛ وتحديدًا رواية فضل الليل على النهار *Ce que le jour doit à la nuit* التي تنخرط ضمن سرد الهوية والتناقضات بين الحلم والحرب، والحب والضغينة. تتبع فيها الكاتب التحولات السياسية والاجتماعية خلال الفترة الممتدة من بداية الثلاثينيات إلى بداية الستينيات من القرن الماضي.

تعد رواية فضل الليل على النهار رواية جزائرية كتبت باللغة الفرنسية من قبل الروائي الجزائري ياسمينه خضرا كما قلنا سابقا، تدور أحداثها حول شخصية جزائرية عاش زمن الاحتلال الفرنسي يدعى "يونس" فمن هو؟ وما قصته التي تجسدت في أوراق الرواية؟.

تتكون عائلة "يونس" من أب وأم وأخت كانوا يعيشون في البادية وكانوا يعتمدون في عيشهم على الحصاد السنوي، وكان أبوه قد رهن أرضه، وفي موسم

الحصاد التهمت النار جميع المحاصيل، وهذا السبب الذي أجبر والد "يونس" أن يعطي أرضه للعدو الفرنسي ولقد كانت مكيدة مدبرة من الاستعمار، وهذا ما أدى بهم إلى الهجرة إلى مدينة وهران بعد أن وجدوا أنفسهم مفلسين وعجز الأب على توفير مستلزمات وحاجيات ابنه، فأخذه إلى عمه الصيدلاني المتزوج من امرأة فرنسية تدعى "جيرمين" لكي تربيته وصار يدعى "جوناس" ومن هنا بدأت أولى مظاهر الاغتراب التي عاناها "يونس" وهي اغترابه مع ذاته اغترابه مع عائلته التي تركته عند عمه "ماحي" واغترابه مع باديته عند انتقاله إلى مدينة وهران.

لم تقف أحداث الرواية هنا فقط وما لاقاه "يونس" في حياته، بل تبدأ رحلة أخرى واغتراب آخر ألا وهو اغترابه عن مدينة وهران وانتقاله إلى مدينة تدعى ريو صالادو ومعناها وادي الملح؛ أطلق عليها هذا الاسم من قبل المستعمر وتقع في ولاية عين تيموشنت، يعود انتقاله المفاجئ هذا نتيجة اصرار عمه "ماحي"، فماذا عايش "يونس" في مدينة ريو صالادو؟

تولد في ريو صالادو حكاية جديدة وهي قصة حب بين "يونس" وفتاة تدعى "ايميلي" لقد كان حبا مستحيلا إلا أن "يونس" كتم حبه عن "ايميلي" حتى النهاية، وهذا ما أدى إلى إصابة "يونس" بحالة هيسيريا ويطلب مساعدة أصدقائه الفرنسيين الذي تعرف عليهم كذلك مع حبيبته في مدينة ريو صالادو في العثور على نصفه الضائع "إيميلي"، وقد استطاع المؤلف أن يجعل القارئ يشاركه هذه القصة المليئة بالأحداث المؤلمة، وهذه الرواية تحكي عن الانقلاب السياسي الذي شهدته الجزائر في كل مكان بعد الحرب العالمية وأدت إلى مواجهة عسكرية بين الجزائر وفرنسا، ومن جهة أخرى تحكي لنا أيضا أحداث الرواية عن الصراع الداخلي "ليونس" مع الآخر واختباره مع نفسه في الوفاء لوطنه مقابل حبه

وأصدقائه، وتختتم أحداث الرواية بالنهاية الأليمة لقصة "يونس" و"ايميلي" التي تزوجت من شخص آخر ولم يحظ بها لأنه حب مستحيل.

5. تمظهرات الهوية في رواية فضل الليل على النهار:

1.5 نسق الهوية الاجتماعية بين الضياع والانتفاض:

يصور متن رواية فضل الليل على النهار مأزق الانتماء والهوية، التي تتشكل "داخل نسق ثقافي، بل أن وظيفتها هي أن تعكس ذلك النسق وتمثله وتحمله، وهي بذلك تعلن عن أنها نظام اجتماعي طالما أن ما يشكل هوية الفرد من اسم ومكان ميلاد ومكان العيش ولغة وديانة وأفكار... إلخ يكتسبها داخل مؤسسات اجتماعية، ولقد اختار الكاتب أن يذكر البطل بانتماءه العربي قائلا: "ربما تساءلت لماذا أحكي لك هذا يا ولدي. بداخل عروقي، تجرى دماء لالة فاطمة" (هنتش، 2006، صفحة 24)، فهذا الاسم الثوري والتاريخي يوضح الهوية القومية للبطل حتى يدرك أصول عائلته التي كافحت المستعمر الغاشم.

فالفرد الجزائري متفاعل مع هويته الاجتماعية المحافظة التي يتمسك فيها بلغته ودينه ومعتقداته، ومن العادات والسلوكات التي تدخل في هوية الإنسان الجزائري هي احتشام النساء وعدم ظهورهن أمام الغرباء، وهو ما أشار له الكاتب ياسمينة خضرا قائلا: "في عاداتنا، تبقى النساء جانبا حينما يلتقي الرجال، لا توجد إهانة للزوج أكثر من رؤية رجل يطيل النظر في زوجته" (هنتش، 2006، صفحة 21)، فالنساء لهن حرمة في البيئة الجزائرية، وهو ما يظهر في سلوكات الرجل في العائلة الكبيرة من خلال السعال للإخبار عن قدوم الرجال وهو ما يوضحه هذا السياق الروائي: "قادنا إلى غاية الحوش...، طلب من السمسار انتظاره في الزقاق وتنحن بصوت مرتفع لإبعاد النساء" (هنتش، 2006، صفحة 34)، وهي طريقة يلتزم بها الرجال في المساكن المشتركة وتؤدي الثقافة دورا حاسما

في نحت الهوية الثقافية للأفراد والجماعات" (بشلم، 2014، صفحة 174)، فقد دمج الكاتب بين ثقافتين متناقضتين الفرنسية والجزائرية فـ "أزمة الثقافة هي في الحقيقة أزمة الهوية" (الرويدي، 2014، صفحة 419)، التي خلقت اغترابا وشعورا بالضيق الذي كان يحسه بطل الرواية يونس/ جوناك هذه الشخصية المغتربة التي امتلكت وعيا ونفسا جريئة وتائية في عوالم الحضارة الغربية؛ لأن "الفرد الغربي يرى في الشرق القريب مكانا لتحقيق الطموحات الكولونيالية" (هنتش، 2006، صفحة 24).

2.5 الهوية الدينية واللغوية:

ومن مقومات ومرتكزات الهوية الثقافية هو الدين كونه "من أهم العناصر التي تشكل المجتمعات وتوحد قيم ومفاهيم الأفراد فيها وأنماط تفكيرهم وعاداتهم وتقاليدهم وآراءهم بخصوص الطبيعة والإنسان والعلاقة بينهما" (عطية، 2009، صفحة 44)، الذي يشكل ويوحد المجتمعات من خلال مخاطبة عقول الناس ووجدانهم حتى يتمكنوا من ترسيخ شعورهم بالانتماء، وهو ما نجده في شخصيات الرواية المتمسكة بالتعاليم الإسلامية، وعلى أساس من ذلك فإن "مفهومنا نحن يعني في الفكر المعاصر حميمية الانتماء الحضاري وربما الروحي أيضا إلى دين من الأديان أو إلى جيل من الناس ... أو إلى طائفة من الطوائف" (مرتاض، 2009، صفحة 83)، ما يعني أن الدين هو من مرتكزات الهوية التي لها دور فعال في سيروية المجتمعات، وتحديد أصالتهم ووحدتهم لأن "إقامة الروابط الاجتماعية الحية كلها عن طريق الدين سواء كانت على نطاق الأسرة أو على مستوى الوطن، ...، ويهدف الإسلام من ذلك إلى ربط الفرد والمجتمع وأن يغرس فيه الشعور بالولاء والانتماء إليه" (الزحيلي، 1991، صفحة 83)، وهذا ما يجعل أفراد المجتمعات متمسكة

تربط بينها أواصر الأخوة، وتكوين هويتها التي يوحدتها الدين بصفته الرابط الروحي والوجداني. وهو ما جاء على لسان أحد شخصيات الرواية المسلمة "في تلك الليلة وعندما رأيت النيران عن بعد، أدركت أن شقيا فقيرا يعود إلى الجحيم ولكنني لم أكن أتصور أن الأمر يتعلق بك رد أبي إنها مشيئة الله" (الزحيلي، 1991، صفحة 14).

ينتقل الكاتب من خلال حيثيات أحداث الرواية للحديث عن الثقافة الجزائرية و اللغة الفرنسية التي أصبحت سائدة في شوارع الجزائر، يقول: محمد ساري أن: "ياسمينه خضرا ينهل من اللغة الفرنسية العامية وأشكالها التعبيرية الجاهرة، أكثر مما ينهل من تراثها اللغوي العربي، يفسر هذا الوضع بكون ياسمينه خضرا يكتب على نمط الرواية البوليسية التي تتميز باستخدام لغة الحياة اليومية (لغة الشارع)، ذلك أن أبطالها من المهمشين والفئات الاجتماعية الفقيرة التي تعيش في الأحياء" (تحريري، 2010، صفحة 210).

ويصور الكاتب اللباس التقليدي للشخصية ما يدل على هويتها وانتماءها وميلها إلى عادات وتقاليد الإنسان العربي قائلا: "ارتديت عباءتي المرفقة بقلمونة وجزمتي المطاطية" (خضرا، 2017، صفحة 85)، وأيضا يبرز لنا الكاتب اللباس التقليدي للمنطقة في قوله: "غمغم الحانوتي وهو يسوي عمامته الساقطة على وجهه" (خضرا، 2017، صفحة 09)، فالعمامة هي لباس تقليدي شعبي جزائري أصيل يتميز به سكان القرى عن غيرهم، كما أن العمامة بصفة عامة لباس تقليدي منتشر بكثرة بين بلدان العرب واشتهروا بها، فيها عدة أشكال وألوان مختلفة توحى بالانتماء، ونتيجة هذا الانتشار لهذا الزي التقليدي قيل: "اختصت العرب بأربع: العمام تيجانها، والدروع حيطانها، والسيوف سيجانها، والشعر ديوانها." (حميد صالح، 2019، صفحة 163)

يبرز السارد الثقافة الغيرية للمجتمع الجزائري المستلب ثقافيا ويتأرجح بين الهويتين العربية و الفرنسية، وكما نعلم فإن الاستعمار لم يكتف باحتلال الأراضي ونهب خيراتها، بل امتد إلى تدمير مقومات الهوية والانتماء من خلال تدمير بنياتهم الرمزية المتمثلة في اللغة و الثقافة و العادات و التقاليد، وكذا القيم المشكلة لهوية الشعوب، وهو ما يتضح جليا مع بطل الرواية "يونس" الذي يعيش حالة ازدواجية اللغة قائلا: " آه نعم " لم تكذب ؟ اسمك يونس أليس كذلك ؟ يونس؟- لماذا إذا تسمي نفسك جوناس؟" (خضرا، 2017، صفحة 90)، يعيش بطل الرواية حالة من الاغتراب ومأزق الهوية لأن "هوية شخص ما أو جماعة معينة مصنوعة، في جزء كبير منها، من هذه التماهيات في قيم أو مبادئ أو مثل عليا أو نماذج أو أبطال التي يجد الشخص نفسه فيها" (ريكور، 2005، صفحة 262)، فالبطل في حالة شرخ وانقسام وجداني بين الهويتين ما جعله يعيش صراعا أصابه بنوع من الإحباط والضيق وهو ما جعل الرواية تنخرط في سرد تأرجح الهوية.

3.5 الهوية المكانية بين معالم الاغتراب والاستلاب:

تدور أحداث الرواية الجديدة للكاتب الجزائري ياسمين خضرا حول الهوية متعددة الثقافات للصبي الجزائري "يونس"، وهو ابن أحد المزارعين الجزائريين، الذين اضطروا إلى النزوح مع أسرهم إلى حي فقير في وهران لأن "الأمكنة مثلت هاجسا حقيقيا للروائيين، واحتجوا على تدميرها، الوطن بما يحمل من دلالات الانتماء والهوية، هوية الكاتب، هوية الشخصيات، ...، وطنا تنعدم فيه الحرية" (حبيلة، 2010، صفحة 69)، فالهوية هي الإنسان والمكان والوطن لأن الهوية هي التي تجمع بينهما، وأحداث الرواية صورت في متنها عدة مدن وشوارع تحمل ملامح

الهوية الجزائرية الأصيلة التي تتخللها مناظر خلافة، كما أن الكاتب صور المدن التي تعرضت للتدمير من قبل السلطات الاستعمارية حتى ينتهك ويطمس هوية الشعب الجزائري.

صور ياسمينه خضرا القرية التي يقطن بها أبطال الرواية ومنهم عائلة يونس، إذ "لم تكن القرية ذات شأن، إنها مكان مقفر مثيرة للحنن، بأكوأها الترابية الراضحة تحت ثقل البؤس، بأزقتها الهلعة التي لا تعرف أين تجري لإخفاء قبحها" (حبيلة، 2010، صفحة 69)، أي أنها قرية منسية ضاعت في غياهيب الزمن، كقرية جنان جاتو هذا المكان عبارة عن تجمعات من الأكواخ المعزولة التي كانت معظم العائلات الجزائرية الفقيرة، وسكان الأرياف والفلاحين المفلسين يتدارون تحت سقفها ويتقاسمون عنائها فالقرى والمداشر هي من مظاهر الهوية الاجتماعية للمجتمع الجزائري الذي يبرز تحت وطأة الفقر، وهو ما جاء على لسان أحد شخصيات الرواية "مزيل من الأكواخ والأجمات الخاصة بالعربات المفككة والمتسولين والباعة المتجولين...، وحاملي المياه والمشعوذين والأطفال بأسمال رثة، يتجاوز البؤس جميع التصورات" (خضرا، 2017، صفحة 33)، هذا الواقع المزري سببه الاستعمار الذي أراد أن يحطم الهوية الجزائرية ويغيب معالمها ويطمس قيمها.

كما تعكس أحداث الرواية سياسة المستعمر الذي يكرس جهوده لترسيخ دعائم الهيمنة الفرنسية من خلال ما يسمى بالحدود الكولونيالية، وتقسيم الأماكن العمومية بين الجزائريين والفرنسيين بتعليق لافتات تسخر من الآخر الجزائري وتهينه في أرضه "لا تضع قدميك هنا أيها المقمل هذا ليس مكانا لأمثالك، دخل النادل إلى الحانة وخرج منها بعد لحظات وفي يده نعل ... خذ نعلك يا ججا البئيس، ستجرى بها أحسن، وأسرع إلى خسارتك" (خضرا، 2017، صفحة 67)،

أي إنها لافتات جدارية الغرض منها إهانة الإنسان الجزائري وتحطيم هويته المكانية، ولا يقتصر الأمر على هذا بل لجأ المستعمر إلى إقامة مواخير للرديلة الغرض منها تحطيم قيم وثوابت الشعب الجزائري المسلم.

6. مأزق الهوية بين الأنا والآخر في رواية فضل الليل على النهار:

تصنف ثنائية الأنا والآخر أو ما يطلق عليها في النقد الثقافي بأنساق وتمثيلات الغيرية التي تندرج ضمن ما يسمى بنسق العلاقات بين الشرق والغرب، فالعلاقة بين هذين الطرفين هي علاقة صراع ومعاداة واختلاف في منطلقها، حيث تصور أحداث الرواية علاقة الأنا الجزائري بالآخر الفرنسي وهو ما تجسده علاقة "يونس" بشخصية "جيم جميناز صوزا" الذي كان يمارس سلطته ضد الجزائريين، قائلا: "لست موافقا معك، السيد صوزا، هذه الأرض ليست ملك لكم. إنما ملك الراعي الذي عاش هنا في الأزمنة الغابرة والذي يوجد شبحه على مقربة منكم ولكنكم ترفضون رؤيته" (الرويدي، 2014، صفحة 419).

وتظهر جدلية العلاقة بين "الأنا" و"الآخر" في رواية "فضل الليل على النهار" نتيجة الإحساس بالهوية بالذات، حيث شكل الصدام مع الآخر للفرد الجزائري إشكالية هوية حقيقية، وهو ما يجسده بطل الرواية "يونس" الذي يعايش نوعا من الصراع النفسي إذ نقله لنا الروائي في صورة الأنا المضطربة المواقف والمتأرجحة بين ضرورة الحفاظ على مجدها وبين واجبها اتجاه وطنها، وقد اشتد الأمر على "يونس" الذي اتخذ موقفا محايدا من قضية وطنه، لكنه كان يشعر باضطراب أكثر، وأنه لابد من تغيير موقفه المحايد من "الآخر" ليأخذ موقفا حاسما تجاه هويته وجذوره الجزائرية قائلا: "لم يكن جلول مخطئا. بدأت الأمور

تتغير، ولكنها بالنسبة لي تحدث في عالم متواز كنت منقسما بين الوفاء لأصدقائي والتضامن مع أهلي". (خضرا، 2017، صفحة 249)

فالحالة النفسية السيئة للبطل يرى أن سببها الآخر الفرنسي "لم أعد أتحمل الحفلات وأعراس الزواج وحفلات الرقص ورؤية الناس وهم يجلسون إلى طاولة شرفات المقاهي كنت حساسا لانشراحهم فكرهتهم ! ... كرهت السيدة "كازيناف". كرهتها بجميع قواي....الضعيفة تملئني" (خضرا، 2017، صفحة 361)، ما يعني أن "يونس" أصبح يدرك أن هذا الآخر كان سببا في حزنه وتعاسته، حيث أصبح لا يطيق السيدة "كازيناف" التي أبعدته عن حبيبته "ايميلي" وهي الفتاة الفرنسية التي لا زالت تتبنى أفكار ورؤى ثقافتها، التي هي نتاج النظرة الدونية والاستعلانية للفرنسيين اتجاه العرب والجزائريين طاغية في الرواية.

لكن البطل "يونس" أدرك في الأخير حقيقته، وضرورة العودة إلى جذوره وثقافته بدليل عودته إلى الجزائر، وبذلك تقطع كل خيوط الحوار والتعايش ويزداد الصراع بين الجزائر وفرنسا.

7. خاتمة:

وفي الأخير نستنتج من خلال ورقتنا هذه والتي جاءت موسومة ب: "سؤال الهوية وصراع الآخر في الرواية الجزائرية المعاصرة _رواية فضل الليل على النهار لياسمينه خضرا أنموذجا _ جملة من النتائج نذكر منها:

✓ تعد الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية ظاهرة ثقافية لغوية يتخذ فيها الكاتب الجزائري اللغة الفرنسية كنتيجة حتمية للوضعية الاستعمارية، حتى يصور الواقع المأساوي الذي يعيشه المجتمع الجزائري.

- ✓ تصور الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية حس الانتماء والتشبث بالوطن الذي يستمدده الكاتب من هوية ونسيج الشعب الجزائري.
- ✓ حاول ياسمينه خضرا في روايته (فضل الليل على النهار)، تقديم صورة إيجابية تجمع بين حضارتين مختلفتين الفرنسية والجزائرية، وجعل أبطال روايته في حوار حضاري مفعم بأواصر التواصل والانفتاح على ثقافة الآخر، والتسامح والتعايش معه، حتى أصبحت الهوية تنسج صورتها في كنف الآخر وأنساق الغيرية.
- ✓ أبدع الكاتب الجزائري أعمالا أدبية رغم كتابتها باللغة الفرنسية واتصالهم بالأدب الفرنسي؛ إلا أن انتمائهم وهويتهم الجزائرية ظلت راسخة في أعمالهم الإبداعية قول مولود فرعون: "أكتب بالفرنسية وأتكلم بالفرنسية لأقول للفرنسيين أنني لست فرنسيا." (بوخاري ، 2013)
- ✓ تظهر الرواية إشكالية الصراع بين الحضارات ضمن جدلية الأنا والآخر التي تكشف عن صعوبة التلاقي والتواصل الثقافي بين العالمين الفرنسي والجزائري؛ فالعلاقة مع الغرب من خلال النص الروائي لم تخرج عن ظواهر الطغيان والهيمنة والاستبداد عن طريق الغزو الثقافي المقنع وتحطيم ثوابت الهوية الجزائرية.
- ✓ استطاعت الرواية الجزائرية أن تعكس الهوية العربية الإسلامية، وتصور حالة التمزق وتشويه الهوية التي يعيشها بطل الرواية، وذلك من خلال مقومات الهوية المتمثلة في اللغة والدين، والعادات والتقاليد التي تشكل هوية المجتمع الجزائري الأصيل.
- ✓ ساهمت الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية في إثراء المنتج الأدبي الجزائري، رغم ما عانت من نقد ودراسة في مسألة هويتها وانتمائها الوطني؛ إلا أن النفس والروح الجزائرية التي تتخللها أكدت وبكل قوة أنها من ضمن الآداب

الجزائرية رغم حرفها الفرنسي وما سطرت به باللغة الفرنسية فالفرق هنا واضح وجلي؛ لأنها أقلام كتبها أدباء من أبناء الجزائر العميقة حملوا ماضيا غنيا متعلقا بالتقاليد والعادات الجزائرية كما حملوا قضية الأمة الجزائرية.

✓ حظيت الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية بعدة دراسات نقدية ساهمت في فرض وجودها على الساحة الفنية والأدبية والثقافية، نتيجة لقدرتها الهائلة على تصوير قضايا المجتمع الجزائري وما يعانيه من تهميش وطمس من قبل المستعمر الفرنسي وقدرتها كذلك في رصد مختلف الظواهر والأوضاع سواء السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية والثقافية التي عرفت الجزائر إبان الاحتلال الفرنسي وبعد الاحتلال وما عانتها من ظروف.

8. قائمة المصادر والمراجع:

قائمة المصادر والمراجع:

1. أديب بامية، عابدة. (1982). *تطور الأدب القصصي الجزائري (1925، 1967)*. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.
2. الأعرج، واسيني. (1986). *اتجاهات الرواية العربية في الجزائر (بحث في الأصول التاريخية والجمالية للرواية الجزائرية)*. الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.
3. بشلم، منى. (2014). *المحكي الروائي العربي أسئلة الذات والمجتمع* (المجلد ط 1). (سعيد بوطاجين، المحرر) الجزائر: دار الأملية للنشر والتوزيع.
4. بوخاري، عالية. (2013, 06 12). *ابن الأديب الجزائري مولود فرعون يفتح قلبه لـ "الجمهورية" : تم الاسترداد من جازيرس محرك بحث إخباري*: <https://www.djazairess.com/eldjournhouria/37339#>:

5. تحريشي، محمد. (2010). الرواية بين ضفتي المتوسط. *اليوم الدراسي: الرواية بين ضفتي المتوسط*. فندق الأروية الذهبية، الجزائر: المجلس الأعلى للغة العربية.
6. جبور، أم الخير. (2013). *الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية دراسة سوسيو نقدية*. الجزائر: دار ميم.
7. حبيلة، الشريف. (2010). *الرواية والعنف، دراسة سوسيو نصية في الرواية الجزائرية المعاصرة*. إربد، الأردن: عالم الكتب الحديث.
8. حمداوي، جميل. (1996). *نظريات النقد الأدبي في مرحلة ما بعد الحداثة*. سيدني، أستراليا: مؤسسة المثقف العربي.
9. حميد صالح، عبد العزيز. (2019). *الأزياء عند العرب عبر العصور المتعاقبة*. بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.
10. خضر، سعاد محمد. (1967). *الأدب الجزائري المعاصر*. بيروت: منشورات المكتبة العصرية.
11. خضرا، ياسمينه. (2017). *رواية فضل الليل على النهار*. الجزائر: وزارة الثقافة.
12. ديك، زهرة. (2013). *ياسمينه خضرا "هكذا تكلم"* (المجلد ط 1). عين مليلة، الجزائر: دار الهدى.
13. الرويدي، عدلان. (2014, 10 05). الرواية وحوار الأنساق الثقافية قراءة في رواية كريماتوزيوم سوناتا لأشباح القدس لواسيني الأعرج. *مجلة المخبر، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري العدد 10*، الصفحات 413-443. تم الاسترداد من <https://www.asjp.cerist.dz/en/article/3581>
14. ريكور، بول. (2005). *النداءات عينها كآخر*. (جورج زيناتي، المترجمون) بيروت: منشورات المنظمة العربية للترجمة.

15. الزحيلي، محمد. (1991). *وظيفة الدين في الحياة وحاجة الناس إليه*. دمشق: جمعية الدعوة الإسلامية العالمية.
16. شرف، عبد العزيز. (1991). *المقاومة في الأدب الجزائري المعاصر* (المجلد ط 1). بيروت: دار الجيل.
17. عطية، محمد عبد الرؤوف. (2009). *التعليم وأزمة الهوية الثقافية*. مصر: مؤسسة طيبة للنشر والتوزيع.
18. كوبر، آدم. (2012). *الثقافة – التفسير الأنثروبولوجي*. (صباح صديق الدمولوجي، المترجمون) بيروت: المنظمة العربية للترجمة.
19. مرتاض، عبد الملك. (2009). *الإسلام و القضايا المعاصرة*. بوزريعة، الجزائر: دار هومة للنشر والتوزيع.
20. هنتش، تيري. (2006). *الشرق الخيالي ورؤية الآخر – صورة الشرق في المخيال الغربي* *الرؤية السياسية الغربية للشرق المتوسط-*، (المجلد ط 1). (مي عبد الكريم حمودة، المترجمون) سوريا: دار المدى للثقافة والنشر.